

## لغة الحضارة

## الفتوة والفتيان والفتيانية

للفتوة في الحضارة الاسلامية معانٍ متباينة ترجع الى طبيعة الفتاوى اي الشباب، وما قد يصحها من حسن الخلق وبذل المعروف<sup>(١)</sup>، والخيرية والكبرم<sup>(٢)</sup>؛ او ما يغلب عليها من حب اللهو والتصف ومعاورة الشراب والانتقاد الى الشهوات، كما سيجيء. ولم نجد من اشار الى كل منها في كتب اللغة. واقتصرت مجلة لغة العرب في بغداد (١٩٣٠/٤، ص ٢٤١ - ٢٤٩) على شرح «طريقة الفتوة» وسياقة اخبارها منذ شهرها الخليفة العباسي الناصر لدين الله في بدء القرن السابع للهجرة اي سنة ١٠٧٠/١٢١٠، وجعل شعارها «شرب الكاس ولباس السراويل»، ودعا اليها من احب تشريفه من الملوك والامراء والرؤساء في زمانه. وفي زعمها ان لفظ الفتوة في معناها المذهبي مأخوذ من القول المشهور «لا فتى الا على». وقد انكر ابن تيمية هذه الطريقة المحدثه ووضع فيها رسالة دعاها «الكلام على بطلان الفتوة المصطلجة بين العوام وليس لها اصل متصل بعلي<sup>(٣)</sup>». ولم يشر احد الى الزمن الذي بدأت فيه هذه البدعة ولا اين نشأت قبلاً افي العراق ام مصر. وقد تقدمت خلافة الناصر بما قد يزيد على قرنين وربما اتخذت احياناً وسيلة او ستاراً للدعوة للفاطميين، وهو ما يتحصل من قول ابن الجوزي :

«سنة ٤٧٣ (١٠٨٠م) في ذي الحجة قبض على انسان يعرف بابن الرسولي الحباز وعلى عبد القادر الهاشمي البزاز وجماعة انتسبوا الى الفتوة. وكان هذا

(١) سئل محمد ابو بكر الیهی النیابوری عن الفتوة فقال : هي حسن الخلق وبذل المعروف ( خزانه آکسفر ٢٥٩ ٣ ١٩٨ Hunt )  
 (٢) اساس البلاغة للزمخشري ، طبعة الدار ، ٢ : ١٨٤  
 (٣) نوات الرقيات لابن شاکر الککبي ٣ : ٥٧

ابن الرسولي قد صنف في معنى الفترة وفضائلها وقانونها وجعل عبد القادر المتقدم على من يدخل في الفترة وان يكونوا تلامذته . وكتب لكل منهم منشوراً وقلده صمماً ولقب نفسه « كاتب الفتيان » وجعل ذلك طريقاً الى دعوات ومجتمعات تعود لمصلحته وكتب الى خادم لصاحب مصر بمدينة النبي يعرف بجالصة الملك ريجان الاكندراتي قد درّب نفسه لرئاسة الفتيان وصارت المكاتبات من جميع البلدان صادرة منه واليه والتحويل في هذا الفن وقف عليه .

« وعن لابن الرسولي ان جعل اجتهادهم بسجد يرانا وكان مسدود الباب مهجوراً ففتح بابه ونصب عليه باباً ورتب فيه من يراعيه . فمرف ذلك اصحاب عبد الصمد<sup>١</sup> . فانكروه وشكروه الى الديوان وءظفوا ما يكون منه وما يتفرع عنه وقالوا : ان هؤلاء القوم يدعون لصاحب مصر ويحملون ذكر الفترة عنواناً لجمع الكلمة على هذا الباطن . فطالع الوزير عميد الدولة بالحال فتقدم حينئذ بالقبض على ابن الرسولي وعبد القادر والكشف عن الحال . ووجد لابن الرسولي في هذا المعنى كتب كثيرة وكتاب منه الى الخادم المتقدم ذكره فاستغلاه الوزير عميد الدولة وسأله عن انداخلين في هذا الجبل وطلبوا قبض على من وجد منهم وهرب الياقون . وجعل الشحنة والوالي ذلك دليلاً الى الشنقة<sup>٢</sup> وقطع المصانعات عليهم . ونهيت دورهم ثم أخذت فتارى العقبا . عليهم بوجود كفههم عن هذا الفساد.<sup>٣</sup>»

وقل جداً من اشار الى هذا المعنى من الفترة قبل القرن الخامس . ومن

(١) ذكر ابن الجوزي « اصحاب عبد الصمد » فقال : « هم اصحاب المساجد » المنتظم ٨ : ٢٥١ ، طبة حيدرآباد) وتقل من اخبارهم سنة ٢٥٠ ما يأتي : « في شهر رمضان تجدد للروام التدينين المتسبين باصحاب عبد الصمد ازام اهل الذمة بلبس النيار » ( ٨ : ١٩٠ ) ويستدل من ذلك انهم كانوا فئة من العامة للتحسين في الدين اجتمعوا على الاسر بالمعروف كما كان يقال ، والنهي عن المنكر ، واحياء السنة واقامة رسوم الشرع ولم تنف على شيء . من ترجمة زعيمهم عبد الصمد الذي انتسبوا اليه .

(٢) الشنقة لفظ مولدة مصدر شنقت الرجل الحبر اي استصاه ، عرفت جا طائفة من الجند يقال لهم الشنافة الواحد شنفاصي ، ويراد جا تتبع الاخبار والتسلط على الناس ومصادره .

(٣) المنتظم ٨ : ٢٢٢

تتبع كتب الاخبار والادب يجد ان المراد من الفتوة في اللغة واقوال الكتاب والشعراء كان بضد ذلك مرادفاً لمعنى الصبر ، اي جهل الشباب من اتباع الاهراء والانصباب على اللذات ومعاورة الشراب واستماع الفناء . والميل الى الفزل والتحدث الى الفناء . ولا بأس ان تتوسع قليلاً في ايراد الشواهد الدالة على هذا المعنى . واول ما نذكر منها قول الاعشى في احدى الروايتين :

وكأس شربت على لذة      واخرى نذريت منها نجا  
لكي يعلم الناس اني امرؤ      اثبت الفتوة من بساجل<sup>١</sup>

فجعل شرب الخمر باب الفتوة .

وللجاحظ في كتابه طبقات المنين : « وجدنا لكل دهر دولة للمنين يحملون الفناء عنهم ويطارحون به فتیان زهاتهم وجوارى عصرهم وخصصنا في ايماننا وزماننا بقتية اشرف وخلان نظاف انتظم لهم من آلات الفتوة واسباب المرؤة ما كان محبوباً عن غيرهم . »<sup>٢</sup>

ومن كلامه ايضاً : « نزع الى الفتوة بعد التوبة والى اخلاق الحدائثة بعد الحنكة . »<sup>٣</sup> ومن لم يشرب على الربيع فهو « نكس في الفتوة »<sup>٤</sup> وعد المبرد الفناء من آلات الفتوة في كلامه على خليلان الاموي فقال : « كان يتقنى ويرى ذلك زانداً في الفتوة . »<sup>٥</sup>

ولما اشار المهدي الى خلافة الوليد بن يزيد قال : « كان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون »<sup>٦</sup> فقرن الفتوة بالهزل والاستهتار .

وفي كتاب الاغاني : « كان العرجي صاحب غزل وفتوة . »<sup>٧</sup> وفي وصف دقائق المقشبة « كانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة . »<sup>٨</sup> وفي الكلام على

(١) نهاية الارب للتويرى ٤ : ٢٠٥ وشرح اللغات للشريفي ١ : ٢٠٦

(٢) طبقات المنين جاشم الكامل للمبرد ١ : ١٢٤-١٢٥

(٣) مختارات فصول الجاحظ ، خزائن بريتش . وزبورم ٢١ : ٢٥٨, Or. 3138

(٤) كتاب البغلاء ، طبعة مصر ، ٨٢

(٥) الكامل للمبرد ٢ : ٢٣

(٦) مروج الذهب ، جاشم نفع الغيب ، ٢ : ٢٦١

(٧) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١ : ١٥٤

(٨) الاغاني ١١ : ٦٨

عمرو النزال : « كان ظريفاً اديباً نظيف الوجه واللباس معه كل ما يحتاج اليه من آلة الفتوة. »<sup>(١)</sup> وفيه ايضاً : « قال رجل من اهل المدينة : ما ذكر بيت حسّان بن ثابت :

أهري حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المسامر الفريد

ألا عدت في الفتوة كما كنت . »<sup>(٢)</sup>

ولابي اسحق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم في كلامه على والبة بن الحباب : « لو قلت انه سنّ الفتوة وشرع المنادمة لقلت حقاً . . . وكان لوالبة اخوان مثله في الفتوة والظرف وادمان القصف . . . اما عبد الصمد بن المعذل فسلك طريقة ابي نواس والحسين بن الضحاك فتوة وظرفاً وإدماًناً وشعراً. »<sup>(٣)</sup> وجاء في ترجمة اسحق بن خلف المعروف بابن الطيب « كان رجلاً شأنه الفتوة ومعاشرة الشطار والتصيد بالكلاب وايتار اصحاب الطنابير . . . ولم يزل على رسم الفتوة وضرب الطنبور الى ان توفي في حدود الثلاثين ومائتين »<sup>(٤)</sup>

وكانت بعض الحانات وبيوت الحمارين معروفة بتردد اصحاب الفتوة اليها مشهورة باجتماعهم فيها ولذلك قال القلقشندي في تعريفه ما كان كاتب الانشاء الشريف يحتاج اليه « ربما احتاج الى معرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به في دسكرة فتوة ونحو ذلك »<sup>(٥)</sup>.

وهذه الشواهد صريحة في النص على معنى الفتوة قديماً ، وانه كان يراد بها رسم الشبان الازوال في الطيش والتلذذ بطيبات العيش ومنها يتضح ايضاً معنى « الفتيان » الصحيح في قول كتاب الاغانى في اخبار المعنى الحيري حنين بن بلور « كان حنين اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمطربين . . . استعلوه » . وقول حنين : « خرجت الى حصص فسألت عن

(١) الاغانى ، طبعة بولاق ، ٢٠ : ٦٤

(٢) الاغانى ، طبعة بولاق ، ١٦ : ١٨

(٣) قطب السرور في وصف الحضور بريش موزيوم b, 73, 46 f°, Or. 3628,

(٤) فوات الرقيات للكتبي ١ : ١٢

(٥) صبح الاعشى ١ : ١٤٦

الفتيان وامن يجتمعون فقيل لي: عليك بالهلمات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا<sup>(١)</sup> وما تدري كيف التبس مدلول هذه اللفظة على من فترها في مجلة لغة العرب او علق عليها حاشية الاغاني في طبعة الدار حتى ظن كلامها ان الفتيان هنا « طائفة يدينون بالفتوة وخصال الرجولة وهم اشد الناس احتفالا بالقرباء واسرع الى اطعام الطعام »<sup>(٢)</sup> وان الفتوة وهي « استجماع الثعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة كانت في زمن الامويين ». <sup>(٣)</sup> فهل لم يكن يجد الفتيان وقتئذٍ لممارسة الاخلاق القويمة وخصال الرجولة الا الهلمات وبيوت اصحاب القيان والمتطربين؟ وكيف التوى المعنى المراد مع دلالة القرينة عليه من ذكر اللهور والطرب والاستحمام؟ ومع ذلك فلنلا تبقى شبهة في صحة الوجه اللغوي فنقل هنا بعض الشواهد ايضاً على معنى « الفتيان » قديماً قبل ان يُطلق على امثال « البنوية والاخية » الذين ورد وصفهم في رحلة ابن جبير ( طبعة ليدن ٢٨٠ ) وابن بطوطة ( طبعة باريس ٢ : ٢٦٠ - ٢٦٥ ) او يتناول احياناً معنى اللصوص كما ورد في ترجمة الفارابي في تلخيص الحكماء للبيهقي ( طبعة دمشق ، ص ٣٣ ) .  
قال أوس بن حجر الأسيدي يرثي فضالة بن كادة :

ليبك الشرب والمدامة والفتيان طراً وطامع طمعا ٤

وقال محمد بن ادريس بن سليمان بن ابي حفصة : « قبر الاعشى بمنفوحة وانا رأيتُه فاذا اراد الفتيان ان يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبروا عنده فضلات الاقداح »<sup>(٤)</sup> .

وللحسن بن هاني :

اذا كان يومي ليس يوم مدابة ولا يوم فتيان فاما هو من عمري (٥)

وله ايضاً :

بارب مجلس فتيان لهوت به والليل مستنلس في ثوب ظلماء (٦)

(١) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٤٦

(٢) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٤٦ ، حاشية ٤

(٣) لغة العرب ٤ / ١٩٣٠ ، ص ٢٤١ و ٢٤٢

(٤) الاغاني ٨ : ٨٦

(٥) قطب السرور المذكور آنفاً ، ص ١٦٨

(٦) اخبار ابي نواس لابن منظور ، ٢٢٦

ومن آيات شواهد النحو :

وفتيان على شرف جيماً دلفت لهم يباطية هدور  
فلا تشرب بلا لهم لاني رأيت الخيل تشرب بالصغير (١)

ومن العقد الفريد لابن عبد ربه :

« قال عبد الله بن صفوان لعبد الله بن جعفر بن ابى طالب : ابا جعفر لقد  
صرت حجة لفتياننا علينا اذا نهيناهم عن الملاهي » (٢).

« كانت البنايا في الجاهلية لمن رايات يعرفن بها وينتجها الفتيان » (٣).

« قال الاوقص المخرومي : قالت لي امي : اي تبني انك خلقت في صرة  
لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان » (٤).

« قيل للحسن بن هاني : ما السرور ؟ قال : مجالسة الفتيان في بيوت القيان  
ومنادمة الاخوان على قضب الرميحان » (٥).

وغني عن القول ان المراد بالفتيان في كل هذه الشواهد معناها اللغوي  
المشهور لا معناها المذهبي المحدث، اي الشبان والعلمان الذين لا ارب لهم الا في  
الاستمتاع بالحياة وطيبها وتتبع اللذات من الشرب والفتاء والغزل والتحدث الى  
النساء . ولذلك قيل « فتياي » لكل من نهج منهجهم من الرجال والكهول .  
قال الجاحظ : « ادركت رواية المسجدين والمربدين . . . ما يروي عندهم نسيب  
الاعراب الا حدث السن قد ابتدا في طلب الشر او فتياي . . . متفرل » (٦).

ومن كانت هذه سبيله في التلذذ والتنعم والتقرب والتجيب كان في الغالب  
ارق اخلاقاً واطيب حديثاً ومذاقاً واشهر كياسة ولطفاً ولذلك نُسب الظرف  
الى الفتيان والفتاء الى الظرفاء . فحين « فتياية الظرفاء » ومدحها المجدد في  
قصيدة لاحمد بن عبد السلام قال فيها :

(١) العقد الفريد : ٣ : ١٦٦

(٢) « ٢ : ١٢٥ »

(٣) « ٣ : ٢ »

(٤) « ٣ : ١٦٢ »

(٥) « ٣ : ٢٢٦ »

(٦) البيان والتبيين ، ( طبعة سنة ١٣١١ ) ، ٢ : ١٦٤

جلس خلافة وغذي ملك واعلم من رأيت بكل أمر  
وفتياية الظرفاء في وأجة الكبير بنير كبير<sup>(١)</sup>

بقي من معاني الفتوة ما حكاه ابو اسحق ابرهيم المعروف بالرقيق النديم قال:  
« دعا محمد بن عبد الله بن طاهر رجل من اصحابه دعوة احتفل فيها فلما  
حضر محمد طالبه بالطعام فطامه ليتلاحق ويتكامل على ما احبه من الكثرة  
والاحتفال حتى تصرم اكثر النهار ومن محمداً الجوع وتنقص عليه يومه فشرب  
عنده اقداحاً وانصرف ... »

(وسافر بعد ذلك محمد بن طاهر) « فشيته هذا الرجل فلما دنا منه ليودعه  
قال له : ابأسر الامير بشي . ? قال : نعم اجعل طريقك في عودتك على محمد بن  
الحارث بن بسخر فسله ان يملك الفتوة . فضى حتى دخل على محمد بن محمد وقال :  
بهشي الامير اليك لتعلمني الفتوة . فضحك وقال : يا غلام هات ما حضر . فجي .  
بطبق كبير عليه ثلاثة اربعة من انظاب الخبر وثلاث سكرجات سُري وخل  
وملح من اجود ما يتخذ من هذه الاصناف فابتدأ يأكل فجاءته فضلة باردة  
من مطبخه وتداركها الطباخ بطباهاجة ثم وافاه من منزل حرمه فضلة اخرى  
واهدى اليه بعض غلمانه جام حلواء فانظام له امر خفيف ظريف في زمان يسير  
بغير احتشام ولا انتظار الى ان ادرك الطعام واخذ في الشراب فقال له : اذا دعوت  
احداً من اخوانك فليكن هكذا عملك ولا تنتظر استكمال الطعام<sup>(٢)</sup> .

(١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ١٣٦

(٢) قطب السرود 30 b / 3628, Or.